030 مبحث التوحيد - ربهم له خمسة أصابع وكل إصبع يضع عليه خلقا من مخلوقاته

صحيح البخاري ج6 ص126 ح4811: حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

هل الأصبع لمعبودهم أم لمخلوقاته؟

1- التعليق على فتح الباري لعبد العزيز المشيقح ص26: قال في الجزء الثامن ص 551 على حديث أن الله يجعل السماوات على إصبع "وقال ابن فورك يحتمل أن يكون المراد بالإصبع إصبع بعض المخلوقات وما ورد في بعض طرقه أصابع الرحمن يدل على القدرة والملك "

جـ. هذا التأويل مردود مخالف لقول أهل السنة والجماعة والصواب إثبات ذلك على ما يليق بجلال الله وعظمته.

2- التمهيد لما في الموطأ لأبي عمر القرطبي ج7 ص148-149: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْعَلُ السَّمَاءَ عَلَى أُصْبُعٍ وَحَدِيثُ إِنَّ قلوب بني آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ وَإِنَّ اللَّهَ يَعْجَبُ أَوْ يَضْحَكُ مِمَّنْ يَذْكُرُهُ فِي الْأَسْوَاقِ وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ وَنَحْوُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَقَالَ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ نَرْوِيهَا وَنُقِرُّ بِهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ قَالَ أَبُو دَاوُدَ وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ سَمِعْتُ الْهَيْثَمَ بْنَ خَارِجَةَ قَالَ حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ وَسُفْيَانَ الثوري وملك بْنَ أَنَسٍ وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ عَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الصِّفَاتِ فَقَالُوا أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ

3- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص303: فَإِنْ قَالَ لَنَا: مَا الإصبع عنْدك هَهُنَا؟ قُلْنَا: هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ يَحْمِلُ الْأَرْضَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَكَذَا عَلَى أُصْبُعَيْنِ. وَلَا يجوز أَن تكون الإصبع -هَهُنَا- نِعْمَةً.
وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} 1 وَلَمْ يَجُزْ ذَلِكَ.
وَلَا نَقُولُ أُصْبُعٌ كَأَصَابِعِنَا، وَلَا يَدٌ كَأَيْدِينَا، وَلَا قَبْضَةٌ كَقَبَضَاتِنَا، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَا يشبه شَيْئًا منا.

4- شرح كتاب التوحيد لعبد الله الغنيمان ج1 ص310: هذا الحديث يدل على عظمة الله -تعالى- حيث يضع السماوات كلها على إصبع من أصابع يده الكريمة العظيمة، وعدد المخلوقات المعروفة للخلق بالكبر والعظمة، وأخبر أن كل نوع منها يضعه -تعالى- على إصبع، لو أراد تعالى - لوضع السماوات والأرضيين ومن فيهن على إصبع واحدة من أصابع يده - جل وعلا-.

المناقشة:

1- معبودهم عنده شيء اسمه "اصبع" ولا نقول كأصابعنا، ولكن رسول الله عندما نطق بكلمة (اصبع) على أي معنى قصد؟ هل بالمعنى المثبت في اللغة العربية أم بلغة لا نعرفها؟

2- ولفظة "اصبعين" الواردة في الحديث معناها (اثنين) فهل للعدد معنى يليق بجلاله؟ وهل هي اثنينية غير اثنينية البشر؟

3- المشكلة ليست في معرفتنا كيفية تلك الأصابع، فكل مخلوق له أصابع تليق به، ولكن المشكلة بأن مجرد اثبات شيء اسمه "اصبع" استلزم الحد، والحد استلزم منه مكان ما وخلوه من مكان آخر، واستلزم منه الحجم فقد تحويه الأشياء .الخ

4- قوله "يَحْمِلُ الْأَرْضَ عَلَى أُصْبُعٍ" يستلزم الملامسة الحقيقية بين المخلوق والخالق، والأرض هنا لامست إصبع الله وأخذ حيزا منه!!

5- وهل الإصبع شيء يختلف عن باقي الأشياء التي وصف الله بها نفسه وصفا ووظيفة؟ فإن قيل نعم قلنا فلزم كون معبودهم مركّب، وإن قيل لا فاستلزم تأويل الإصبع أو ضرب اللغة العربية عرض الجدار!!

والله العالم بحقائق الأمور،،

كتبه قربة إلى الله: القناص الرافضي